

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف - المسيلة -

ميدان : اللغة والأدب العربي

فرع : أدب عربي

تخصص أدب جزائري



كلية : الآداب واللغات

قسم : اللغة والأدب العربي

رقم : L15/329

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر الأكاديمي

إعداد الطالبة : نعيمة دريسي

تحت عنوان :

الفضاء المكاني في شعر " عثمان لوصيف "

- نماذج منتخبة -

تاريخ المناقشة: 2017-05-25

اللجنة المناقشة:

رئيسا	جامعة - المسيلة -	د - محمد بوسعيد
مشرفا ومقررا	جامعة - المسيلة -	د - عبد الحفيظ جوير
مناقشا	جامعة - المسيلة -	د - جلول دقي

السنة الجامعية: 2016-2017م / 1437-1438هـ

# دعاء

"اللهم لا تجعلني أصاب الغرور إذا نجحت

ولا اليأس إذا أخفقت، وذكّرني اللهم أن الإخفاق هو التجربة

التي تسبق النجاح

اللهم إذا أعطيتني نجاحاً فلا تأخذ مني تواضعي .

وإذا أعطيتني تواضعي فلا تأخذ اعترازي بكرامتي "

# شكر وعرفان

نحمد الله على إتمام هذا العمل وما توفيقى إلا بالله.

ولما كان شكر الناس من شكر الله ، فإن هذا الجهد ما كان يعرف بتوجيه لولا مساهمة العديد من الزملاء والأصدقاء والأقارب الذين تدخلوا على مدى فترات إنجاز العمل .

كما نتقد بالشكر الجزيل للأستاذ الفاضل "عبد الحفيظ جوبر" لتوجيهاته القيمة ونصائحه الملائمة ونشكره على تواضعه فقد تعلمنا من أفكاره وأفعاله وأقواله.

ونشكر كل أساتذة قسم الآداب، كما لا ننسى كل من ساهم من بعيد أو قريب على إتمام

وإنجاز هذا العمل الذي تم بحمد الله

" نعيمة دريسي "

# إهداء

الحمد والشكر الأول لله عز وجل الذي وفقنا في عملنا

ثم اللذان قال الله تعالى فيهما: ((وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا)) (سورة العنكبوت، الآية 08)

إلى منبع الحنان والدرة المكنونة: أمي الغالية العزيزة "جميلة"

وإلى الذي سهر على تعليمي وتربيتي، أبي الغالي والعزيز "أحمد".

إلى الذين ترعرعت معهم، أختي العزيزة والغالية "بشرى" مع تمنياتي لها بالتوفيق الدراسي.

إلى اخوتي: سمير، بدر الدين، ياسين، فؤاد، وفاتح مع تمنياتي له بالتوفيق في شهادة التعليم المتوسط.

كما أهدي هذا العمل إلى أعمامي: السعيد، العياشي، وإلى اللواتي لم ييخلن علي بالمساعدة المادية

والمعنوية: صديقاتي الوفيات المحبوبات: إيمان، يمينة، ونعمة ومفيدة.

كما أهدي تحياتي إلى الأستاذ عبد الحفيظ جوبر الذي ساعدني على إنجاز هذه المذكرة.

# مقدمة

# مدخل

## الفصل الأول

# الفضاء و مفهومه

## أولاً- الفضاء ومفهومه:

## تعريف الفضاء:

مصطلح الفضاء من بين المصطلحات الشائكة التي دارت حولها نقاشات متعددة واختلفت الآراء حول تحديد مدلولها بدقة، إذ يلتبس لدى بعض الدراسيين بالمكان ويرفض البعض الآخر هذه التسمية، مثل عبد المالك مرتاض الذي يقترح معارضة من فئات الأخرى، ويبقى أن الغالبية تعتمد مصطلح الفضاء لاستغراقه المعنى المقصود .

## أ - لغة:

لفظة الفضاء تحيل إلى ما اتسع من الأرض، والفضاء لغة هو الخالي المتسع، ورد في لسان العرب أن الفضاء هو: "المكان الواسع من الأرض... وقد فضا المكان وأفضى إذا اتسع، وأفضى فلان إلى فلان أي وصل إليه، وأصله انه صار في فرجته وفضائه وحيزه"<sup>1</sup>، وهو بهذا المكان العاري الذي يشغله ولا يشغله ولا يملؤه شيء الممتد، الواسع، وفي حديث الرسول صلى الله عليه وسلم: ((أن لا يجعله فضاء لا سن فيه)) ، فيكون الفضاء إذن المتسع، أو "الخالي الفارغ الواسع من الأرض... والفضاء: الساحة وما اتسع من الأرض"<sup>2</sup>، لا تحيل اللفظة على العمران ولا على موضع بعينه، وإنما تحمل دلالة الرحابة والانبساط، وهو من خصائص الأرض، وقد استعاره صلى الله عليه وسلم في الحديث لما يوحي به من الخلو، وان كان أصل استعماله خاصا.

<sup>1</sup>- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، المجلد 2، بيروت، 2000م، ص194.

<sup>2</sup>- المصدر نفسه، ص195م.

## ب - اصطلاحاً:

أما عن استعمال "الفضاء" كمصطلح خاص بدراسة النص الأدبي، فإنه كغيره من المصطلحات التي حظيت بالدراسة في النقد الغربي المعاصر، تعدد ترجماته عن انتقاله إلى اللغة العربية، فمصطلح l'espace الفرنسي، و espace والانجليزي قد لقي ترجمات تختلف تبعاً لمستويات المترجم ذاته، لعل أقدمها هو المكان الذي اعتمده المرحوم "غالب هلسا" في ترجمته لمؤلف "غاستون باشلار" G.Bachelard وعنوانه ب: **جماليات المكان**، ليعتمده "شاكر النابلسي" في دراسته الموسومة ب: **جماليات المكان في الرواية العربية**، التي اهتمت بالمكان في روايات هلسا، ليتداول الدارسون هذا المصطلح جنباً إلى جنب ومصطلح الفضاء "بتسامح عفوي"<sup>1</sup> إلى حد تختلط فيه المفاهيم، ويغيب التميز بين حدود هذين المفهومين، رغم أن الفلاسفة سبقوا إلى الفصل بينهما فأفلاطون مثلاً يحدد كلا منهما ويؤمن بانفصالهما، وإن لم يفصل القول في الفرق بينهما بشكل دقيق إلا أنه آمن "بوجود المكان بوصفه حقيقة واقعة وبالفضاء الذي يحيط به كذلك"<sup>2</sup>، "هيدجر" هو الآخر يتبع هذا المنحى في شرح الفرق بين المصطلحين، حيث يرى أن الأفضلية مهيأة بالأمكنة أين يتأسس وجودها هي الأخرى على أشياء مثل العمارات، فإذا كان "الجسر مكاناً.

وهو كشيء يضع فضاء تندمج فيه السماء والأرض، والسمووين والفانون"<sup>3</sup>، فالأماكن هي بمثابة إطار محدد محسوس المعالم يمتد حول الفضاء مترامي الأطراف، "عبد المالك مرتاض" من جهته يرى أن المكان مرتبط بما هو جغرافي واقعي يعطي عن ذلك أمثلة توضح توجهه هذا منها القاهرة، الحسين<sup>4</sup> ... وغيرها من المعالم الجغرافية، المؤسسة على معالم حضارية، أما مصطلحاً الحيز

<sup>1</sup> - حسن نجمي، شعرية الفضاء، المتخيل والهوية في الرواية العربية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2000م، ص42.

<sup>2</sup> - عبد الرحيم مرشدة، الفضاء الروائي، الرواية في الأردن نموذجاً، وزارة الثقافة، عمان، 2002م، ص10.

<sup>3</sup> - محمد بنيس، الشعر العربي الحديث، بنياته وإبدالاتها، الجزء 3، دار توبقال، الدار البيضاء، 2001م، ص115. نقلاً عن M.

Heidegger, Essais et conférences, PUF, 1980, P184.

<sup>4</sup> - عبد المالك مرتاض، تحليل الخطاب السري، معالجة تفكيكية سيميائية لرواية "زقاق المدق"، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995م، ص245.

والفضاء فإنهما اشمل، أوسع وأشسع من المكان، ويفضل استعمال الحيز عن استعمال الفضاء، ويقصد بالأول ما هو جغرافي أو أسطوري أو حتى هندسي مثل الخطوط والأبعاد، أو المجسمات مثل الأشجار والأنهار.

أما عن سبب تفضيله لمصطلح الحيز عوضا عن الفضاء فيعمل بـ: "إننا نعتقد أن القضاء أوسع من أن يشمل الحيز شمولاً تفصيلياً، و أشسع دلالة من أن يحتوي هذه المساحة الضيقة" لأن مصطلح يفهم منه "كل هذا الفراغ الشاسع الذي يحيط بنا الكون الخارجي محدود بالمساحة والمسافة تركض فيه الأحداث رواية" ليكون توظيفه هنا "من الحرمان وقصور الذوق اللغوي" لهذا يخلص إلى اقتراح مصطلح الحيز بديلاً عن "الفضاء لان الفضاء في تصورنا نحن على الأقل لمدلول هذا اللفظ، أوسع من مدلول لفظ الحيز الذي نتصرف فيه، نحن تبعاً لورود أطواره، وتعرض أحواله في النص الأدبي شعراً كان أم سرداً"<sup>1</sup>.

أما في السيميائية فان تعريف الفضاء يأتي مرفوقاً بالتحذير، لأنه يصبح مستعملاً بشكل مبالغ فيه، ومعتمداً بمفاهيم متباينة تتقاطع عنده عده موضوعاً يتضمن عناصر متقطعة، تنطلق هذه المفاهيم من دلالاته على الامتداد "المعتمر كالاتساع مملوء زون حل للاسترسال"، ويتم فحص بناء النص لفضائه من خلال وجهة نظر "هندسية" بإخلاء أي ملكية أخرى، ومن جهة نظر نفسية فيزيولوجية (كظهور متساعد لخصائص مكانية انطلاقاً من الخلط الأولي)، أو من وجهة نظر اجتماعية ثقافية (كتنظيم ثقافي للطبيعة مثل الفضاء المعمر)، إلى تعريف "غريسمان ومورتيس" هذا والمتهم بطرق التعامل مع الفضاء داخل النص، يضيف رشيد بن مالك الربط بين الفضاء والفاعل، ثم بين الفضاء والعالم الطبيعي، وأخيراً بين الفضاء والبرنامج السردى، ذلك أن السيميائية في إطار اهتمامها بالفاعل

<sup>1</sup> عبد المالك مرتاض، السبع المعلقات مقارنة سيميائية/ انثروبولوجية لنصوصها، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 1998م، ص89.

كمنتج ومستهلك للفضاء، تعريف الفضاء بالاعتماد على "مشاركة كل الحواس ويضطرنا إلى إعطاء أهمية بالغة بالأوصاف المحسوسة (مرئية، لمسية، حرارية، صوتية .. الخ).

فيطاق موضوع الفضاء وسيميائية العالم الطبيعي التي تبحث في معالم العالم وكذا دلالات السلوكيات البدنية للإنسان التي تغير العالم الطبيعي فيحول إلى اصطناعي جراء علاقات جديدة. سيميائية الفضاء تتميز تحديدا عن هذه التحولات التي تلحق بالسيميائية الطبيعية، دون إهمال أهمية الإنسان الذي يستعمل هذا الفضاء ليشكل "تسجيل البرامج السردية داخل الأصلية المقطعة البرمجة الفضائية ذات الطابع الوظائف الذي تظهر اليوم كمكون لسيميائية فضاء اكتسبت فعالية عملية، تناسب هذه البرمجة .. نماذج التوزيع الفضائي المستعملة في تحليل الخطابات السردية"<sup>1</sup>، وفق لهذا التعريف يكون الفضاء هو الإطار الذي تسجل فيه البرامج السردية غير أن الفهم يعد ضيفا مقارنة مع ما تطمح إليه الدراسات الحديثة مع تطوير الشعرية الفضاء هذا الطموح لتطوير شعرية الفضاء، في تحليل العمل الأدبي يرتكز إلى اعتبارين أساسيين: الأول التعامل مع الفضاء على انه تشييد شكلي للنص، والثاني طبيعة الفضائية منها نقديا للقراءة<sup>2</sup>.

إن كان الشعر حسب رأي بعض الدراسيين فنا زمنيا "يحاكي موضوعات تتصف بصبغة الفعل الإنساني والفعل تعاقب والتعاقب حركة وحركة الزمان، فالشعر فن زمني"<sup>3</sup>، كما يخضع في تكوينه لمقاييس مثل الإيقاع ودرجة السرعة<sup>4</sup>، فانه يعتمد الفضائية كإبهام ثانوي في تشبه بالفنون التشكيلية من رسم، ونحت وفن معماري يهدف توسيع الطيبة الزمنية الجوهرية.

<sup>1</sup> - رشيد بن مالك، قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص عربي-انجليزي-فرنسي، دار الحكمة، الجزائر، 2000م، ط1، ص71.-

<sup>2</sup> - إجازيف كيسنر، شعرية الفضاء الروائي، ترجمة: لحسن حمامة، المغرب، افريقية الشرق، 2001م، ص13.

<sup>3</sup> - نعيم اليافي، الشعر بين الفنون الجميلة، دار الجليل، دمشق، 1983م، ص17.

<sup>4</sup> - سيزا قاسم، بناء الرواية، دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1988م، ص74.

هذه الدراسة الفضائية للفن الزمني تركز إلى "إدماج عدة حقول تتضمن النظرية الأدبية والفكرة العلمي والممارسة الفنية الفضائية والبحث الفلسفي"<sup>1</sup>.

هذا الاتجاه نحو الإيهام الثانوي للفضائية يعود إلى عدد من الدراسات التي تناولت الفضاء في مختلف الميادين العلمية، وحتى النقدية والفلسفية أهمها المبادئ الإقليمية وفلسفة اينشتين إضافة إلى الأبحاث التي تستقصي عناصر الفن التشكيلي في القصيدة.

الإيهام الثانوي للفضاء يمكن أن يؤدي أربع وظائف، أولها، انه سيكون واسطة تتحقق عبرها الخصائص لفضائية في الفن الزماني، ويتم تلقي الصورة والتركيبات الكلامية من خلال الارتداء والتعاقب الآني.

**الوظيفة الثانية:** تتجلى من خلال الأنواع الهندسية كالنقطة والخط والمستوى والمسافة، لأن اللغة عمودية مفضاة أكثر منها أفقية وتتباعية<sup>2</sup>.

**الوظيفة الثالثة:** تكمن في علاقة الرواية والأدب عموما بالفنون الفضائية كالرسم والنحت، وفن العمارة، التي تمد الأدب بالمشهد، وخلق الشخصيات والشكل الوظيفي على التوالي، الذي يميزه "برتراند راسل" من خلال المجازات البلاغية وعناصر الكلمة والجملة والفقرة والفصل في أي رواية كلها معمارية في نزوعها نحو تسييج فضائي<sup>3</sup>.

**الوظيفة الرابعة:** ترتبط بالتأويل حيث أن النص يخلق حقلا مطابقا مولدا في حضور القارئ الذي يدخل في علاقة دينامية مع النص.

<sup>1</sup> - سيزا قاسم، المرجع السابق، ص 13.

<sup>2</sup> - جوزيف كيسنر، شعرية الفضاء الروائي، ص 28.

<sup>3</sup> - جوزيف كيسنر، المرجع السابق، ص 29.

غير أن هذه الوظائف لا يمكن دراستها في العمل الأدبي إلا من خلال المفاهيم مفتاحية أهمها الأصناف الثلاثة للفضائية الفضاء الهندسي والمحتمل والمطابق المولد.

## ثانيا - أنماط الفضاء

### أ- الفضاء النصي:

يقصد بالفضاء في هذا التصور، الحيز الذي تشغله الكتابة ذاتها، بوصفها أحرفا طباعية على مساحة الورق "ويشمل ذلك طريقة تصميم الغلاف، ووضع المطابع، وتنظيم الفصول، وتغيرات الكتابة المطبعية وتشكيل العناوين وغيرها"<sup>1</sup>، وكان اهتمام "ميشال بوتور" بهذا الفضاء كبيرا ليس فقط في الحكي، بل في النص بصفة عامة، وقد اشتهر بتقديمه تعريفا هندسيا خالصا للكتاب، حيث يقول: "إن الكتاب، كما نعهده اليوم، هو وضع مجرى الخطاب في أبعاد المدى الثلاثة، وفقا لمقياس مزدوج هو طول السطر، وعلو الصفحة"<sup>2</sup>، إن الفضاء النص غير مرتبط ارتباطا كبيرا بمضمون النص ولكنه مع ذلك يكتسي أهمية بالغة، فهو يحدد طبيعة عامل القارئ مع النص الحكائي عموما، لكنه يمكنه أن يوجه القارئ لخوفهم معين للعمل، ويعتبر الناقد المغربي "حميد لحداني" الفضاء النص مكانيا لأنه لا يتشكل إلا عبر المساحة، مساحة الكتاب وأبعاده، غير أنه مكان محدود لا علاقة له بالمكان الذي يتحرك فيه الأبطال فهو مكان تتحرك فيه -على الأصح- عين القارئ، هو إذا بكل بساطة فضاء الكتابة باعتبارها طباعة"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> -H. Mitterrand , le discours du roman, P192.

<sup>2</sup> -بوتور ميشال، بحوث في الرواية الجديدة، ترجمة فريد انطونيوس، ط1، منشورات عويدات، بيروت، 1971م، ص112.

<sup>3</sup> - حميد لحداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، ط3، الدار البيضاء، 2003م، ص56.

ويشير بوتور إلى مجموعة من مظاهر تشكل الفضاء النص لا تهم الحكي فقط بل يمكن مصادفتها في جميع مصادفتها في جميع الكتب والمؤلفات أهمها الكتابة الأفقية الكتابة العمودية الهوامش الرسوم الأشكال الصفحة ضمن الصفحة ألواح الكتابة الفهارس ويضيف حميد لحمداني مظاهر أرخى في هذه المظاهر التي عددها بوتور نذكر منها البياض التشكيل الطبوغرافي .

هذه الدراسات وفق هذا التصور اعتبرت الصفحة فضاء يعكس نوعا من الرؤية للعالم ما دام المؤلف يتحرك فيه تبعا لإستراتيجية معينة وما دامت العملية الإبداعية عملية معقد يتداخل فيها ما هو نفسي بما هو اجتماعي بما هو فلسفي فراحت هذه الدراسات تفرك شفرات هذا الفضاء النصي بناء على منطق التأويل والحدس مرتكزة على العلاقات التي تصل الدوال ببعضها .

#### ب - الفضاء الدلالي:

إذا كان " الفضاء الجغرافي" يرتبط بما هو عياني ملموس، وإذا كان الفضاء النصي يرتبط بهندسة النص على الورق، فان الفضاء الدلالي يرتبط بجغرافية المعنى وتحولاته التي لا حدود لها، فليس للتعبير الأدبي معنى واضح، فهو ما فاتئ يتضاعف ويتعدد بناء على تنامي الصور المجازية والكتابات والإشارات التلميحية والانتهاكية، لذلك تحدث "جنيت" على الفضاء الدلالي ( Espace sématique) الذي "يتأسس بين المدلول المجازي والمدلول الحقيقي. وهذا الفضاء من شأنه أن يلغي الوجود الوحيد للامتداد الخطي للخطاب"، ويورد هذا الفضاء بوصفه معادلا لما يدعى عادة صورة (Figure)، إذ يقول جنيت حول هذه النقطة بالذات: "أن الصورة، هي في الوقت نفسه، الشكل الذي يتخذه الفضاء، وهي الشيء الذي تهب اللغة نفسها له، بل إنها رمز فضائية اللغة الأدبية في علاقاتها بالمعنى". ويبدو أن هذا التصور للفضاء بعيد جدا عن مجال الحكي، قريب جدا من مجال الشعر، فقلما تتنازع لغة الحكي عن التقرير وحتى إن حصل ذلك، فالأمر موكل آنذاك لمبحث

بلاغي معروف يمكن إدراجه ضمن خانة "المجاز" إضافة إلى كون هذا الفضاء بهذا الشكل لا مقابل له في الواقع الملموس، فهو مجرد قضية دلالية، لذلك فأغلب الباحثين في مجال الفضاء باتوا يراعون شرطاً أساسياً ألا وهو "وجود مكان جمالي معين يمكن أن يدرك أو يتخيل كما يمكن أن يحتوي على أشخاص أو على أحرف طباعية"<sup>1</sup>.

### ج - الفضاء كمنظور أو رؤية:

يرتبط هذا التصور للفضاء براوية النظر التي يقدمها الكاتب أو الراوي عالمه الحكائي، تقول "جوليا كريسييفا": "هذا الفضاء محول إلى كان، انه واحد وواحد، فقط مراقب بواسطة وجهة النظر الوحيدة للكاتب التي تهيمن على مجموع الخطاب بحيث يكون المؤلف بكامله متجمعا في نقطة واحدة، وكل الخطوط تتجمع في العنق حيث يقبع الكاتب، وهذه الخطوط في الأبطال الفاعلون *les acteurs* الذي تتسج الملفات بواسطة المشهد الحكائي"<sup>2</sup>، إن الفضاء، وفق هذا التصور، يتحول إلى خطة عامة يضعها الراوي أو الكاتب لتحكم في عالمه الحكائي، حيث يصبح كل عنصر من هذا العالم مشدودا إلى أياد خفية تحركه وتدبر علاقاته الحيوانية، ويدخل هذا المبحث في صميم نظرية السرد، حيث اهتم به مجموعة من الباحثين والدارسين، منهم الشكلائي "توما تشفسكي" الذي تحدث بشكل مقتضب عن السرد الذاتي والسرد الموضوعي، وكذا "جان بيون" الذي فصل القول في أنواع الرؤية السردية وخصائصها، ومن بعدها جاء كل من "تودووف" و"جينيت" وغيرهما ممن طور المنظور السردية وأولاه عناية فائقة من حيث البحث والدراسة.

ويمكن القول من تعدد التصورات، أن الفضاء الحكائي، يفترض شمولية تضعفه في نسق العلائق التي تصله بغيره من العناصر والمكونات التي تضيئه وبضيئها، فهو أوسع من المكان أو الحيز

<sup>1</sup> - المرجع نفسه، ص61.

<sup>2</sup> - J. Kristiva, les texte du roman, Approche sematique du structure discursive transformationnelle, mouton, 1976, P185.

الجغرافي، وبالتالي هذا الحيز مكون من مكوناته، ولا يمكن تصور هذا الفضاء خارج السيرورة الزمنية أوفى غياب الحركة التي تجري فيه، عكس المكان الذي تمثله خارج الزمن الحكائي، بمعنى أن "الفضاء" تتداخل فيه العناصر وتشتبك فيه العوالم، ومن هذا تكمن صعوبة القبض على تفاصيل دلالاته، الشيء الذي يجعل بعض النقاد يعتبرون القضاء غاية العمل الحكائي ومبعث وجوده، ومنهم "هينري هيتران" الذي يقول: "إن الفضاء، في الحكى، بعيد عن أن يكون محايدا نراه يعتبر نفسه من خلال أشكال متفاوتة، ويكتسب معاني متعددة إلى الحد الذي نراه أحيانا يمثل سبب وجود النتائج نفسه"<sup>1</sup>، أن الفضاء إضافة إلى كل هذا، يمثل مجموع الأمكنة التي ترد في العالم الحكائي، سواء منها المركزية أو الهاشمية في تعددها وفي تنافرها، وفي تشابها وفي تقاطعها أيضا، دون أن تفصل عن سياقاتها وعن مكوناتها الاخرى التي تشتبك بها عالم الحكى، وبالجملة انه الجوهر الذي تشد إليه عناصر المحكى طيلة عناصر السرد.

#### د- الفضاء كمعامل:

ويقصد بالفضاء في هذا التصور، الحيز المكاني في الحكى، ويطلق عليه عادة "الفضاء الجغرافي" ذاك الذي "يتولد من مضمون القصة الروائية لا مما تحتله الكتابة على الورق"<sup>2</sup>، ومن الخطأ الاعتقاد بكون الفضاء الجغرافي في الحكى، يمكن أن يدرس في استقلال كامل عن المضمون، تماما مثلما يفعل الاختصاصيون في دراسة الفضاء الحضري، فهؤلاء لا يهتمون من سيسكن هذه البنايات، ومن سيسير في هذه الطرق، ولا ما سيحدث فيها، ولكن يهتم فقط أن يدرسوا بنية الفضاء الخالص<sup>3</sup>، وقد خالفت كريستينا التصورات التي تدعو إلى عزل الفضاء أثناء تناوله بالدراسة، داعية إلى تمثل الدلالات الحضارية الملازمة له -أي الفضاء- والتي تكون عادة مرتبطة بعصر من العصور حيث

<sup>1</sup> - Roland Bourneuf et Real Quellet, L'univers de roman, P.U.F, 1981, P100.

<sup>2</sup> - حميد لحداني، فضاء الحكى بين النظرية والتطبيق، مجلة دراسات أدبية ولسانية، العدد 3، السنة أولى، ربيع 1986م، ص17.

<sup>3</sup> - حميد لحداني، بنية النص السردى من منظور النقد الأدبي، ص54.

تسوء ثقافة معينة أو رؤية خاصة للعالم، ولذلك ينبغي لفضاء الحكيم أن يدرس دائما في تناصيته، أي في علاقته مع النصوص المتعددة لعصر ما أو فئت تاريخية محددة<sup>1</sup>.

### ثالثا - علاقات الفضاء:

#### أ- الفضاء والشخصيات:

يعد كل من الفضاء والشخصيات عناصر مهمة، حيث تعد أهم الركائز للبناء الروائي ولا يمكن بأي حال من الأحوال الاستغناء عنها، فلا وجود للأحداث بمعزل عنها ولا يمكن أن نتوصل إلى سرد حكاية دونها، ومن المؤكد أن هناك علاقة تربط الفضاء بالشخصيات.

وقد تطرقت البحوث النقدية والعملية إلى العلاقة العضوية بين المكان والإنسان وفي هذا الصدد تقول الباحثة "تبيلة إبراهيم": "إن إدراك الإنسان للزمان إدراك غير مباشر، فهو يتحقق من خلال فعل الإنسان وعلاقاته بالأشياء، في حين أن إدراك الإنسان للمكان إدراك حسي مباشر، وهو يستمر مع الإنسان طوال سنين عمره".

فمن وجهة نظر هذه الباحثة، المكان أمثر التصاقا بحياة الإنسان من الزمان، وهذا ناتج عن ارتباطه بأقدم فضاء وأرسخه وهو الأرض، فهي ترى أن وجود الإنسان لا يتحقق إلا بوجود علاقة بينه وبين المكان، وعلى قدر إحساسه به يكون وعيه بذاته.

ف نجد أن الإنسان يبحث لنفسه عن رقعة من الأرض يضرب فيها بجذورها لتتأصل هويته، ولذلك ارتبط البحث عن الهوية بالبحث عن المكان وللنضال من أجله واسترداده إن كان مغتصبا، فطبيعة الذات البشرية أنها لا تكتمل داخل حدود ذاتها، بل تخرج خارج هذه الحدود أين تجد المكان الذي يمكن أن تتفاعل معه من هذا المنظور وبحكم الصلة التي تجمع بين الإنسان والمكان، أو التي تجمع

<sup>1</sup> - J. Kristiva, Le texte du roman, mouton , 1976, P182.

الشخصيات بالمكان، فان ظهورها ونمو الأحداث التي تسهم في بنائها هو لذي من شأنه أن يساعد على تشكيلا البناء المكاني في النص وفهمه.

وعلى هذا فالمكان لا يكتسب معناه إلا حين يعاش ويدخل في التجارب الحياتية ليثبت كيانه ويحقق الاستقرار هذا الاستقرار، الذي حرم منه البطل الجزائري الثوري، فالإنسان "يعلن دائما عن حاجاته إلى إقرار وجوده، والبرهنة عن كينونته من خلال الإقامة في مكان ثابت سعيا وراء رغبة متكاملة وطلب الأمن للذات"<sup>1</sup>.

فالمكان من خلال الحدث والشخصيات ينتقل من عالم الركود والسكون إلى عالم الحركة والحياة، الأمر الذي يكسبه كونه الدلالي وقيمه الرمزية.

وهناك آراء أخرى متباينة، فقد ظهر اتجاه يقول بالتطابق بين الشخصية والمكان الذي تشغله، ويجعل من المكان تعبيرات مجازية عن الشخصية، هذا يؤكد الجذورية التي تربط المكان بالشخصية، وكأن المكان بمثابة وعاء وخزان لأفكار ومشاعر، حيث تنشأ بينهما علاقة متبادلة.

والى جانب هذا الاتجاه يظهر اتجاه آخر يعطي للشخصيات أهمية كبيرة، وفائقة في تشكيل ومحورة المكان المحيط بها، وهذا مع تقديم الفروقات الشكلية التي تجعل الشخصية تختلف عن المكان.

ومن خلال عرض الآراء ثم الخروج بنتيجة مفادها أن المكان يقتضي وجود الشخصيات، ولا يمكن النهوض بأحدها بمعزل عن الآخر. فوجود المكان يستدعي وجود الشخصيات وهذه الأخيرة وجودها يقتضي المكان بالضرورة، لأن الخطاب القصص لا يكسب بنيويته ودلالته إلا بالتفاعل بين هذه

<sup>1</sup> - أوريدة عيود، المكان في القصة القصيرة الجزائرية الثورية، دراسة بنيوية لنفوس ثائرة، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، (نط)، 2009م، ص109.

العناصر، فيغدو هذا التفاعل الوسيلة والمفتاح الذي يتم من خلاله الولوج إلى أغوار الخطاب القصصي<sup>1</sup>.

ومن منظور آخر هناك من يرى أن الفضاء وعاء للشخصيات، فقد يكون هذا الفضاء ضيقاً أو رحباً، أن علاقة الشخصيات بالمكان ليست علاقة جسدية فحسب تصور من خلالها جزئيات المكان، كما هو الأمر عند وديع عساف، حيث يسترجع من المكان الضيق "السفينة" شوارع وأماكن القدس، مسرح ذهنه، رغم نفيه عنها<sup>2</sup>.

وفي هذا الصدد، ينتهي "بورنوف" إلى ملاحظة مفادها أن الفضاء الضيق يهيمن على الروايات المعاصرة، فهو يستثير الكراهية والثورة في قلب الشخصيات، كما هو الشأن في رواية (تير يزدسكيرو) فالروائي عادة ما يجعل الفضاء ينطوي على مجموعة من القيم الرمزية والدلالية<sup>3</sup>.

وهكذا ستزداد علاقة الإنسان بالفضاء من خلال الأثرية المتبادلة بينهما، حيث أن هذا الأخير لا يحتاج إلى مساحة جغرافية يعيش فيها فقط، بل يسعى جاهداً ليجد لنفسه رقعة يضرب فيها بجذوره، ليتأصل فيها، ومن ثم يأخذ البحث عن الكيان والهوية، فاختيار المكان وتهيئته يمثلان جزءاً من بناء الشخصية البشرية.

إن الحديث عن الشخصيات في الرواية هم بمثابة الحديث عن الإنسان لأن هذه الشخصيات هي شخصيات ورقية خالية، تستمد من الإنسان الحقيقي صفاتها وملامحها، فالروائي يعمل على أن يكون بناءه منسجماً مع مزاج وطبائع شخصياته، وأن يكون هناك تأثير متبادل بين الشخصية والمكان الذي يعيش فيه. أو البيئة التي تحيط بهما، حيث يصبح بإمكان بنية الفضاء الروائي أن

<sup>1</sup> - أريدة عيود، المرجع السابق، ص110.

<sup>2</sup> - سمير فوزي حاج، مرايا جبرا ابراهيم جبرا والفن الروائي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر والتوزيع، 2005م، ص80.

<sup>3</sup> - محمد الزموري، شعرية الفضاء في القصة القصيرة، (دط)، (دت)، ص27.

يكشف لنا الحالة الشعورية التي تعيشها الشخصيات، بل قد تساهم في التحولات الداخلية التي تطرأ عليها.

فهناك تجانس بين الشخصيات والمكان، لأنه يوجد تأثير متبادل بينهما، فالتمايز بين الفضاءات هو التمايز بين الشخصيات<sup>1</sup>.

وبذلك يمكن اعتبار الفضاء الروائي بمثابة بناء يتم إنشائه اعتماداً على المميزات والتحديات التي تطبع الشخصيات وذلك على حد قول حسن بحرأوي<sup>2</sup>.

## ب - الفضاء والزمان:

للزمن أهمية قبل تبيان علاقته بالفضاء، حيث يعد عنصراً هاماً من العناصر المكونة للبناء الروائي، حيث لا وجود لأحداث ولا لشخصيات ولا حتى حوار خارج إطار الزمن، ونعني بذلك الحيز المعنوي اللامرئي والمجرد في الآن نفسه، المشكل للحياة.

إن دراسة الرواية طرحت الكثير من المشكلات والتساؤلات، خاصة تلك التي تعلق أمرها بالفضاء والزمن، وهو مشكل في غاية العمق كونه متصل بالأشكال الفكري للخطاب الروائي.

فهل هو خطاب زمني أم فضائي؟.

مع أن الفكر قد حل المشكل من أساسه وهنا نستحضر ما ذهب إليه الشاعر الكبير ميلوش من أن الفكر هو الأساس، حيث يتعلق الأمر بمعرفة الوجود، وإنما بتحديدته في الطبيعة، الفضاء والزمن ليست وقائع معزولة، كما يريد إقناعنا بذلك التحليل الجامد الذي يريد الذكاء.

<sup>1</sup> - سعيد يقطين، قال الروائي، المرجع السابق، ص 241.

<sup>2</sup> - حسن بحرأوي، المرجع السابق، ص 30.

إن الحركة بهذا المعنى ليست في الكتابة الروائية نتاج الزمن الحكائي فحسب بل هي نتاج مشترك لعنصر الزمن والفضاء، فهي نتاج لتضافرها تارة وتصارعهما وتقاربهما تارة أخرى "من هنا ينبغي فهم أن الفضاء، سواء أكان واقعياً أو متخيلاً مرتبطاً بالشخصيات أو بجريان الزمن، بمعنى أن الفضاء موجود على امتداد السرد، انه لا يغيب أبداً"<sup>1</sup>.

"إن الحديث عن انقطاع السيرورة الحكائية أو توقيفها شيء آخر، غير الحديث عن وظائف الفضاء الروائي، ففي حضرة الفضاء لا شيء يتوقف عن العمل بل تظل مكونات النص الروائي يقظة لا تنام كساعة الحائط على حد تعبير "شارل كريفل"<sup>2</sup>.

كما يذهب الباحث "جوزيف كيسنر" في تقسيماته لفنون إلى تبني قسمين: فنون زمنية، وفنون فضائية، فالفنون الزمنية تتأسس على التتابع واللاعكسية مثل الرواية والموسيقى. "وقد خلص هذا الباحث إلى نتيجة مفادها أن مفهوم الإلهام الفضائي قد نشأ من فكرة الفنون الزمنية تستخدم الخصائص الفضائية"<sup>3</sup>.

"ونجد الكاتب "سمير فوزي" حاج في مؤلفه "مرايا جبرا إبراهيم جبرا والفن الروائي" يتحدث عن العلاقة بين الزمان والمكان، فيطلق مصطلح الزمكانية chronotopes فيقول: "يشكل هذا المفهوم (الزمكانية) منهج "ميخائيل باختين" القائل باستحالة الفصل بين الزمان والمكان أي التفاعل

<sup>1</sup> - حسن نجمي: المرجع السابق، ص 65.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص 69.

<sup>3</sup> - محمد الزموري، المرجع السابق، ص 14.

الأساسي للعلاقات الزمانية والمكانية كما استوعبها الأدب..."، والزمكانية من جماليات العمل الفني، خاصة الروائي، حيث يتشابه الفضاء بالمكان لتجديد البنيان المعماري الروائي<sup>1</sup>.

### ج - الفضاء والأحداث:

من غير الممكن أن تكون الرواية، من دون هذا العنصر الهام، وهو الأحداث فهي التي تحدد الشخصيات داخل إطار زمني ومكاني معين.

فيما تتجلى علاقة الفضاء بالأحداث؟

إن أهمية الممكن وبناء العالم الروائي، لا تختلف عن أهمية الزمان أو الشخص، فلا يمكن أن تتصور أحداث خارج المكان، بل لابد أن تقع في فضاء مكاني حقيقي أو يصوره الكاتب بواسطة اللغة<sup>2</sup>.

لا يمكن للفضاء الروائي أن ينتظم لمعزل عن الأحداث، فهو شديد الارتباط بها، شأنها شأن باقي العناصر، وهذا ما تخبرنا به جميع الأجزاء المكونة للنسيج الحكائي<sup>3</sup>.

كما أن نمو الأحداث يسهل في تشكيل البناء المكاني في النص، فالأمكنة تتشكل من خلال الأحداث التي يقوم بها الأبطال، ومن المميزات التي تخصم وعلى هذا الأساس فإن بناء الفضاء الروائي يبدو مرتبطا بخطية الأحداث السردية.

<sup>1</sup> - سمير فوزي حاج، مرايا جيرا ابراهيم جيرا والفرن الروائي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر والتوزيع، 2005م، ص81.

<sup>2</sup> - إدريس بوديبة، الرؤية والبنية في روايات الطاهر وطار، منشورات جامعة منتوري، ط1، قسنطينة، 2000م، ص112.

<sup>3</sup> - حسن بحرواي، المرجع السابق، ص32.

كما نجد أن علاقة المكان بالحدث الروائي علاقة تلازم أي أن الصلة بين المكان والأحداث تلازمية، إذ لا يمكن تصور الأحداث بمعزل عن الأمكنة التي تدور فيها، فهما معا يشكلان لوحة فسيفاء برعت في إظهارها يد الروائي الفنان<sup>1</sup>.

ومن هنا نجد أن هناك إلزامية تربط بين الفضاء والحدث الذي سيعطي للرواية تماسكها وانسجامها، وذلك أن المكان هو أحد العوامل الأساسية التي يقوم عليها الحدث، فلن تكون هناك دراما بالمعنى الأرسطي للكلمة، ولن يكون هناك أي حدث، ما لم تلتق شخصية روائية بأخرى.

إن المكان يتشكل بما ينهض فيه من أحداث، فهو لا يخضع دوما خضوعا مطلقا للحدث، بل يمارس عليه أحيانا نوعا من القدرية، انه يمسك بشخصياته وأحداثه، ولا يدع لهما إلا هامشا محدودا من حرية الحركة، وقد كانت العلاقة بين الحدث والمكان علاقة جدلية عن بعض الروائيين حيث يرون أن جغرافية المكان تتشكل عبر حركة شخصيات فيه، هذه الأخيرة التي تؤطرها هندسة المكان، فلا وجود لمكان في الرواية لا يحدث فيه شيء، كما يمكن تصور وجود أحداث من غير وجود أمكنة. وسواء عرض المكان بطريقة مشهدية أو جاء مجرد إطار لأحداث فان مهمته هي التنظيم الحكائي للأحداث فتوظيف المكان بهذه الطريقة يجعله يتحكم في حركة السرد

وقد تباينت آراء الروائيين إلى في بناء الفضاء الروائي، حيث وجهات نظرهم، فقد أخفق بعضهم في ربط الأمكنة بالحوادث انه لا توجد علاقة بين الأمكنة والحوادث، هذا من وجهة نظرهم وقد اکتفوا بتقديم مكان جامد لا حياة فيه.

بينما نجح روائيون آخرون، حيث جعلوا من الأمكنة الروائية كلا متكاملا ومتكافئا تؤثر في الحوادث وتتأثر بها، كما لها دورا في تطور الشخصيات التي تحل فيها، والروائي في حالتي الإخفاق والنجاح

<sup>1</sup> - محمد صابر عبيد، وسوسن البياني، جماليات التشكيل الروائي، دار الحوار، (دط)، سوريا، (دت)، ص 321.

يقدم المكان الروائي بواسطة الوصف في الغالب الأعم، لأن هذا الأخير هو وسيلة اللغة في جعل المكان مدركا لدى القارئ.

من خلال ما تقدم من عرض العلاقات، تبين أن كل العناصر الروائية تشكل كلا متكاملًا لا يقوم عنصر دون الآخر، رغم الاختلافات في الآراء، فالفضاء الروائي له صلة وثيقة بباقي العناصر. فالفضاء في الرواية يعبر عن مقاصد المؤلف، فيتحول هذا الفضاء الحقيقي إلى فضاء روائي تجري فيه الأحداث، وهو فضاء منظم شأنه شأن باقي العناصر الأخرى في الرواية، كونه يؤثر فيها ويقوي من نفوذها ويمنع الحوادث والشخصيات مناخًا تتفعل فيه، وتعبّر من خلاله عن وجهة نظرها.

### \* تعالق الفضاء بالمكان في الدراسات العربية:

ولج مصطلح Espace أو Space وهو يقابل مصطلح "الفضاء" الدراسات العربية بفعل الترجمة، التي ضمت للغتنا أو أغنتها لكم زاخر من المصطلحات الغربية ومفاهيمها. يشيع مصطلح الفضاء عند النقاد الغربيين، إذ يعنونون به كتبهم ومقالاتهم في حين يظهر مصطلح المكان على استحياء، لأداء غايات يرتضيها أصحابها، أما العرب فلا يصنعون مصطلح الفضاء في كتاباتهم النقدية خاصة<sup>1</sup>، إنما يحتل مصطلح المكان عندهم مقاما طباعيا أكبر.

كما قد يرفض البعض لفظة "الفضاء" ويرتضي بتسميته بأسماء أخرى كما فعل عبد المالك مرتاض الذي يستعيز بها مصطلحا آخر هو الحيز، إذ يرى من منظور الخاص أن المفهوم الأول "قاصر بالقياس إلى الحيز لان الفضاء من الضرورة أن يكون معناه جاريا في الخواء والفراغ، بينما الحيز

<sup>1</sup> - عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية، بحث في تقنيات السرد، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1998م، ص141-142.

لدينا ينصرف استعماله إلى النتوء والوزن والثقل والحجم والشكل، على حين أن المكان نريد أن تفقه في العمل الروائي على مفهوم الحيز الجغرافي وحده<sup>1</sup>.

إن مشكلة الفضاء منذ البدء مشكلة عويصة، والتصورات حولها لا زالت مشوشة ومضطربة عند الغرب، فلا يوجد اتفاق حول مفهومها أو وضع نموذج نظري دقيق يبين دلالتها الحقة. ولو أو مرتاض أبقى على المقابل الأجنبي الأول L'espace أو Space وترجمته بالفضاء، ونراه اسلم مصطلح وأدقه وأوضحه، ليبسر لنا على الأقل إشكالية وضع مصطلحات عديدة للفضة واحدة، الذي سيزيد عملية التواصل وانعدام التفاهم بين الناس، خاصة إذا تحدثنا عن مصطلح سردي كان ولا زال مشبعاً وغير واضح المعالم.

إن أهمية المكان لا تخفي على احد، كما يقوم به هذا المكون من دور رئيس في الحياة الإنسان، فمنه ينطلق واليه يعود، أو ليست حياتنا ككل رحلة مكانية تبدأ برحم الأم وتنتهي بالقبر<sup>2</sup>. إن الاهتمام الكبير بالمكان يعود لحضوره الكثيف في كل مناحي حياتنا، ولعظم قدره ف بالحياة الإنسانية بعامة "ولعله ما من قرين للترجمة البشرية مثله، فهو عمادها ومصطلحها وهو مغذيها وهو منطلقها ومصعبها وهو ترجمتا أيضا"<sup>3</sup>. ينبه "حسن نجمي" - ونحن نبحت في قضية المكان وعلاقته بالفضاء - إلى ملحوظة نراها هامة في هذا الصدد، مفادها أن "غالب هلسا" ارتكب خطأ فادحاً، حين أقدم على ترجمة عنوان كتاب La poétique De L'espace "شعرية الفضاء" "لغاستون

<sup>1</sup> - المرجع نفسه، ص141.

<sup>2</sup> - فهد حسن، المكان في الرواية البحرينية، دراسة نقدية، فراديس للنشر والتوزيع، ط1، البحرين، 2003م، ص66.

<sup>3</sup> - عبد الصمد زايد، المكان في الرواية العربية، الصورة والدلالة، كلية الآداب منوبة، دار محمد علي للنشر، ط1، الجمهورية التونسية، 2003م ص7.

باشلار " إلى جماليات المكان، وهي الجناية الأولى التي شوهت خصوصية هذين المصطلحين، وتركت ضلالها على دراستنا فيما بعد<sup>1</sup>.

وقد يستغرب كثر وضع هذا العنوان، والحال أن المقابل العربي لمصطلح L'espace هو الفضاء كما أن المقابل لمصطلح le lieu هو المكان.

ومن يقارن بين عنواني الكتاب سيخرج بنتيجة واحدة مفادها قرن هلسا بين مصطلحي الفضاء والمكان واعتبارهما وفق وجهة نظره سيان ويشيران إلى مفهومين متطابقين، ولربما كان لقصر باع النقد العربي ذاته مقولة الفضاء الدور الأكبر في إغفال هذا الخلط وعدم تناول الأفلام النقدية له.

<sup>1</sup> - حسن نجمي، المرجع السابق، ص 42.

## الفصل الثاني

### الفضاء المكاني في شعر "عثمان لوصيف" -دراسة تطبيقية-

## أولاً: بنية المكان

## أ- لغة:

المكان هو المسرح الذي تجد فوقه حياة الإنسان، فهو الفضاء الذي يعيش فيه والفضاء هو المكان الواسع من الأرض، والفضاء الساحة وما اتسع من الأرض، لذا نال المكان اهتماماً كبيراً عند اللغويين وغيرهم.

فجاء في "لسان العرب" أن: "المكان الموضع وجمعه أمكنة وأماكن، قال ثعلب: يبطل أن يكون فعالاً لان العرب تقول: كن مكانك، واقعد مكانك فقد دل هذا على انه مصدر أو موضع منه<sup>1</sup>. فالمكان يحمل معنى الموضوع والمقعد الذي يقعد فيه أو يقيم فيه.

أما في "المعجم الوجيز" تمكن عند الناس: علا شأنه والمكان، و به استقر فيه ومن الشيء قدر عليه، وضفر به (المكان): الموضع، (المكانة): المنزلة، (المكنة): القدرة والاستطاعة والقوة والشدة<sup>2</sup>.

ومنه فالمكان هو المكانة والمنزلة و رفعة الشأن كما يعني القوة والشدة والاستطاعة.

أما في "المنجد" كما يلي: "المكان: ج أمكنة وأماكن، وجمع الجمع أماكن، الموضع أو هو فعل من الكون، يقال هو من العلم بمكان أي له فيه مقدرة ومنزلة، ويقال هذا مكان هذا: أي بدله<sup>3</sup>.

وهو كذلك بمعنى الكون أي مكان وجود جميع المخلوقات .

<sup>1</sup> - ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ج 1، ط 1، (بت)، ص 113.

<sup>2</sup> - مجمع اللغة العربية، المعجم الوجيز، وزارة التربية والتعليم لمصرية، القاهرة، مصر، (نط)، 1994م، ص 588.

<sup>3</sup> - علي بن حسن الهنائي الأزوري، المنجد في اللغة، دار المشرق، بيروت، لبنان، ط 2، 1986م، ص 771.

## ب - اصطلاحا:

يعد المكان عنصرا هاما في بناء الرواية فيرتبط به الزمان والشخصيات والحدث.

فيقول "محمد فتاح": "إن الزمان بأنواعه المختلفة، إطاره هو المكان الذي ينجز فيه ولذلك فإنه لا مناص عنه"<sup>1</sup>.

ومن هذا القول نجد أن "محمد فتاح" يعتبر أن المكان هو الإطار الذي يتحرك فيه الزمان على اعتبار أن الرواية فنا زمنيا فيؤكد على أهمية المكان في بناء الرواية وشد عناصرها فيجمعهم في شيء واحد سواء الشخصيات أو الحدث ألا وهو المكان.

والمكان في الرواية، هو: "مجموع الأماكن الروائية التي تم بناؤها في النص الروائي"<sup>2</sup>. والتي يطلق عليها اسم الفضاء والمكان هو الفضاء". والتي يطلق عليها اسم فضاء والمكان هو الفضاء"، هو تهذيبا لسلسلة من الأماكن اسند تاليها مجموعة من المواصفات كي تتحول فضاء"<sup>3</sup>.

أما "سيرز قاسم" فعرفته بأنه: "الإطار الذي تسير عليه الأحداث في الرواية"<sup>4</sup>، كأنه الموضع الذي تمثل فوقه الأحداث وتسير عليه، يشكله كل روائي .

ومنه فالمكان هو الخشبة التي تجسد فوقها الأحداث، وفيه تمارس الشخصيات حياتها يبني باللغة مضييفا إليه بعض التخيل الروائي بقدر ما يحتاج إليه من الخيال وتصوير المكان.

والمكان عنصر أساسي في العمل الروائي، يتخذ إشكالا ويحيل دلالات مختلفة يكتشفها التحليل والدراسة وفق تصويرها يخضع لمبدأ القطبية القائمة على ثنائية التضاد بين الأمكنة تتقابل معبرة عن العلاقات التي تربط الشخصيات بمكان تحركها أو عيشها تبعا للثقافة والعادات والأفكار والسلوكيات السائدة فيه"<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> - الشريف حبيبة، بنية الخطاب الروائي ( دراسة في روايات نجيب الكيلاني)، عالم الكتاب الحديث، الأردن، ط 1، 2010م، ص193.

<sup>2</sup> - أحمد مرشد، البنية والدلالة في روايات ابراهيم نصر الله، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط 1، 2005م، ص60.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص61.

<sup>4</sup> - الشريف حبيبة، المرجع السابق، ص193.

ويعرف المكان في العمل الفني: شخصية متماسكة ومسافة مقاسه بالكلمات والرواية لأمر غائرة في الذات الاجتماعية، ولذا لا يصبح غطاء خارجيا أو شيئا ثانويا بل هو الوعاء الذي تزداد قيمته كلما كان متداخلا بالعمل الفني<sup>2</sup>.

ويمثل أيضا بالمسافة، وهي مقاسة بالكلمات وهو شيء أساسا ووعاء تزداد قيمته الجمالية كلما كان ذاتيا في العمل الفني كما يسمى "بالحيز" ومن خلال المكان نستطيع قراءة أفكار المجتمعات وطريقة حياتهم وتعاملهم في الطبيعة.

## ثانيا - دراسة الفضاء المكاني في شعر "عثمان لوصيف" دراسة تطبيقية:

### أ- الأماكن المغلقة:

الأماكن المغلقة هي "التي ينتقل فيها الإنسان ويشكلها حسب أفكاره، والشكل الهندسي الذي يروقه ويناسب تطوره العصريين وينهض الفضاء المغلق كنفويض للفضاء المفتوح، وقد تلقف الروائي هذه الأمكنة، وجعلوا منها إطارا لأحداث قصصهم، ومتحرك شخصياتهم"<sup>3</sup>.

ومن الأماكن التي نحن بصدد دراستها في شعر "عثمان لوصيف"

### 1- البيت:

يقول الشاعر عثمان لوصيف :

ومن أين جئت

وكيف اهتديت ؟

<sup>1</sup> - الشريف حبيبة، بنية الخطاب الروائي، المرجع السابق، ص 194.

<sup>2</sup> - ياسين النصير: الرواية والمكان، دار الحرية للطباعة، دار الحرية، بغداد، العراق، (دط)، 1980م، ص 17.

<sup>3</sup> - حبيبة الشريف، المرجع السابق، ص 204.

كائن أزلي أنا

أتناسخ في كل شيء

أرحل .... أرحل حيا وميتا

وأسكن في كل بيت<sup>1</sup>.

البيت جسد روح وهو عالم الإنسان الأول قبل أن يفنذ الإنسان في العالم... فإنه يجد في مهد البيت لذا تشكل

البيوت والمنازل نموذجا ملائما لدراسة قيم الألفة ومظاهر الحياة الداخلية التي تعيشها الشخصيات.

البيت هو ركن العالم، انه كما قيل مرارا، كوننا الأول، كون حقيقي بكل ما للكلمة من معنى<sup>2</sup>.

## 2- المشعر الحرام:

يقول الشاعر:

أنت وردي وتعويذتي

حرمي ... مشعري

زمزمي ... مظهري.

فالمشعر هو البيت الحرام، زمزم ماء زمزم، الورد: ما يذكر من أذكار الصباح والمساء، أن التوظيف من الشاعر

لدليل واضح على ثقافته الدينية الواسعة، فهو من عائلة متدينة مدينة طولقة ببسكرة، لذلك انعكس هذا على شعره.

## 3- الديار:

<sup>1</sup> - عثمان لوصيف، قالت الوردية، دار هومة، الجزائر، 2000م، ص25، 29.

<sup>2</sup> - غاستون باشلار، جماليات المكان، ترجمة: غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، (دب)، ط5، 2000م، ص38.

لما أزل في الديار وأنقاضها

أسأل اليوم عنك

وأسأل عنك غرابا

أسأل الريح والحفر الموحشات<sup>1</sup>

إن هذا المشهد يحمل مضمونا سوداويا حيث يعبر الشاعر بطريقة تصويرية رمزية عن إهمال العرب لعروبته من شأنها إن تجمعه وتوحدتهم باسم الدين واللغة والمصير المشترك. وما تكرر الفعل أسأل ثلاث مرات إلا دليل على دعوة الشاعر إلى الاعتصام والتمسك بهذه العروبة.

إن هذا المضمون السوداوي ليتناسب تناسبا تاما مع الإطار والذي وضعه عثمان لوصيف والوارد في السطر الأول، أنقاض الديار فالخراب والإطلال فيها من الوحشة والسوداوية بسبب هجرة الإنسان لها ما يوافق سوداوية.

## 5- القدس:

ونبدأ بتكرار، فعندما يمارسه "عثمان لوصيف" يستحضر عدادا من المواد المحسوسة لرسم صورة جزئية متعددة للمكرر علما أن التكرار، الذي نقصده هو أن يكرر المتكلم اللفظة الواحدة باللفظ والمعنى مرتين أو أكثر، يقول "عثمان" عن القدس المحتلة:

أيها العبق الإلهي الذي يسري في جثة التاريخ

أيها المتفق كبرياء وحبا

<sup>1</sup> - عثمان مقيرش، الخطاب الشعري في ديوان قالت الوردية، ط1، المؤسسة الصحفية بالمسيلة للنشر والتوزيع والاتصال، الجزائر، 2001م، ص84.

أيها النبراس الذي يهدينا في البر والبحر

أيها الملاح المستعصي

أيها الشاطئ الذي تحطمت دونه كل السفن

وكل الملاحين ماتوا

أيها البحر المسافر مع الرياح الهوجاء<sup>1</sup>.

إن تكرار "أيها" ست مرات اقتترنت في كل مرة بصورة فنية ثنائية الطرفين، طرفها الأول ثابت وهو القس، أما الطرف الثاني فهو عنصر محسوس تماما يتغير مع كل صورة وفق ترتيب الآتي: العبق، النهر، النبراس، الملاح، الشاطئ، البحر، والسبب في تنوع الطرف الثاني الحسي عائد الى إحساس الشاعر القوي بمحنة احتلال القدس، فهو من كل صورة يشعر بعدم إيفائه حق هذه المدينة المباركة من التقدير والإجلال، فيجد لها صورة أخرى محاولاً إشباع ذلك الجوع النفسي الممتد.

## ب - الأماكن المفتوحة:

تتخذ الرواية أماكن مفتوحة على الطبيعة نوظرها لأحداث مكانيا، وتخضع هذه الأماكن لاختلاف بفرض الزمن المتحكم في شكلها الهندسي<sup>2</sup>.

### 1- المدينة:

<sup>1</sup> - عثمان لوصيف، الكتابة بالنار، ط1، دار البعث، قسنطينة، 1982م، ص29.

<sup>2</sup> - حبيبة الشريف، المرجع السابق، ص244.

لم تعد المدينة مجرد مكانا للأحداث، بل استحالت موضوعا خاصا مع تنامي العوامل الداخلية والخارجية، فمن الناحية الاجتماعية تعد كثافة سكانية، كانت سبب مظاهر كثيرة، وتبقى في المدينة، هي مجموعة من المسافات<sup>1</sup>، يقول "عثمان لوصيف":

كنت وصاحبي في المدينة المزدهمة

ومررت بين اثنين من أتراك<sup>2</sup>.

جرت الأحداث في الفضاء معلوم وهو المدينة ولقد حفظ الشاعر على معنى القاموسي المتداول لهذا الدال (المدينة) ، إذا اسند إليه صفة الأرحام، وهي من البغوت التي تلازم المدن والتي يدركها العام والخاص فيتجسد الفضاء في هذه القصيدة، فهو حيز واقعي تتم فيه الحركة (المرور) واللقاء العادي بين رجل ومحبوته، وقد يكون الفضاء معلوما لكنه أكثر امتدادا.

والملاحظ على الصور الوصفية الحسية لعثمان، اكتساؤها بطابع الموضوعية على غير عادة الصور، ويقول عثمان في إحدى مشاهداته:

يقول الشاعر "عثمان لوصيف" :

فئران المدينة

تتزوج في الأقبية القذرة

أما فئران البراري

فتتزوج في الطبيعة النقية<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> - المرجع نفسه، ص 257.

<sup>2</sup> - عثمان لوصيف، ديوان لعينيك هذه الفيض، دار هومة، الجزائر، الجزائر، 1999م، ص 52.

إن الناظر في هذه الصورة الفنية المركبة تبدو له من النظرة الأولى، صورة فوتوغرافية التقطها آلة تصوير، تقرأ واقعا ولا تتعداه، لكننا لو خرقنا هذا السطح المعنوي الظاهر، لنجول في باطن الصورة، لوجدناها تعبر عن تدمير الشاعر من المدينة وشعوره بالإحباط والقلق والاضطراب إزائها. وبالمقابل نجد تعلقه بالريف وشعوره بالارتياح والطمأنينة والسكينة، فالمدينة في شعر "عثمان لوصيف" أصبحت رمزا للغش والزور والاعتداء، وأصبح الريف رمزا للبراءة والصفاء والطهر.

## 2- الشوارع:

يقول "عثمان لوصيف":

وأظل لأقص.... أرقص

وأنا أركض خلفك من شارع لشارع

وأهذي مثل الدراويش

بشطحات الهوى<sup>2</sup>

الشيء الوحيد الذي يفهم من خلال التجلي اللفظي، هو أن وجهة المرأة مخالفة لمكان تواجد الشاعر ويتحدد هذا المكان لاحقا إذا يتمثل في الشوارع التي تتخذ فضاء لأداء الطقوس الصوفية التي تترجمها الرقصات الممتزجة بالركض، والتي تكتسي مسحة جنونية، فحركة الشاعر تتم في حيز ممتد وتوحي العبارة ( من شارع لشارع ) الى إشعاع الفضاء وهذا ما يسمح بالحركة والتنقل فيخترق الشاعر هذه المساحات بالركض.

## 3- البحر:

<sup>1</sup> - عثمان لوصيف، كتاب الاشارات، دار هومة، الجزائر، 1999م، ص81.  
<sup>2</sup> - عثمان لوصيف، ديوان ولعينيك هذه الفيض، دار هومة، الجزائر، 1999م، ص54.

أيها البحر الآخر

يا جسدها المترامي ... المصطخب

ارحل عبر الأمواج من الضوء المترجرج

أرسو على جزر بلورية

وانسرب بين الخلجان

وعبر النباتات المائية

اشبع أصابعي بأصابعك<sup>1</sup>.

إن البحر المصور هنا زعم خروجه عن حسيته المعروفة الى بحر الحبيب بحر الوطن، فان الشاعر لم يستطع إخفاء اهتمامه المنطقي بمتعلقاته المحسوسة: وهي الأمواج، الجزر، الخلجان، والنباتات المائية، لإدراكنا منذ الوهلة الأولى للعلاقة المنطقية بينها وبين البحر، وهي علاقة الجزء بالكل.

وان صورة البحر المعنوي جرت الشاعر الى أربع صور جزئية لمتعلقات المذكورة قبل قليل ( الأمواج، الخلجان، النباتات المائية ) ، ونعتقد أن هذا التوالد في الصور أمر يدل على جانب جيد من الشعاعية، إذ تكون الصور في هذه الحالة متعاقبة تجذب النفس والمخيلة تدريجيا فتجعل تجربة الشاعر تتسرب إلينا في هدوء وهمس.

#### 4- النيل:

النيل في النهار

<sup>1</sup> - عثمان لوصيف، قراءة في ديوان الطبيعة، دار هومة، الجزائر، 1999م، ص78.

أو .... تحت ندى السحر

والنيل في الغروب

أو تحت سنى القمر

أيقونة

من فضة<sup>1</sup>

إن منظر النيل يوحي بالسكون والطمأنينة وهو الإيحاء نفسه الذي يشع به قول "السياب".

عيناك غابتا نخيل ساعة السحر

أو سرفتان راح ينأى عنهما القمر<sup>2</sup>.

ورغم التغيير اللفظي الذي أحدثه عثمان إلا أن صورة السياب بقيت واضحة تكشف عن تقديره وإجلاله لقصيدته (

أنشودة المطر ) خصوصا وشعر "سياب" عموما.

## 5- تيزي وزو:

وكان "عثمان لوصيف" يبذل ما يبذل في سبيل إخراج شعر جيد، فان دليل على حبه العميق للشعر إلا أن حبه

لوطنه لا يقل عن هذا الحب شأنًا وقيمة، ومن مظاهره اختياره عددا من المدن الجزائرية مثل : الجلفة، غرداية،

وهران، تيزي وزو، ..... وجعلها محاور لقصائد كاملة من شعره، وذكر الشاعر.... للمكان ليس لمجر حصره

<sup>1</sup> - عثمان لوصيف، زنجبيل، دار هومة، الجزائر، 1999م، ص08.

<sup>2</sup> - بدر شاكر السياب: ديوان بدر شاكر السياب، مج1، دار العودة، بيروت، 1971م، ص474.

وتسميته، ولكن من مواقع بعيشه، فبيعت في نفسه شعورا متصلا به ويقدر ذكرياته وانطباعاته حوله، تكون صورة قلة وكثرة .

وعثمان عندما يعجب بمدينة يختار لوصفها وجدانيا حسدا من الصورة الجزئية في إطار صورة مركبة يقول عن مدينة القبائل :

تيزي وزو

جرحى الدفلى يهتف

ينبع يلغو من وله

وكمنجات تهتر

تيزي وزو

جمر يسهر

خمر تختم بالمسك

دليل يبتز<sup>1</sup>.

إن المقطعين عبارة عن مشهدين، أو لنقل صورتين مكبتين تبرزان فتنة مدينة تيزي وزو وجمالها في عين الشاعر، وتأثيرها في حسه ووجدانه الى غاية النشوة والإطراب، الصورة

المركبة الأولى من ثلاث صور جزئية يتقاسم بناءها بعد ثلاثة عناصر محسوسة، فالصورة الأولى ( جرح الدفلى يهتف ) مادتها نبات الدفلى، والثانية ( نبع يلغو من وله ) مادتها النبع المائي والثالثة ( كمنجات ) مادتها الكمنجة

<sup>1</sup> - عثمان لوصيف، أبجديات، دار هومة، الجزائر، 1997م، ص67.

الموسيقية أما الصورة الثانية، فهي بدورها من ثلاث صور جزئية حسية، الأولى ( جمر يسهر) وقوامها الجمر، والثانية ( خمر تختم بالمسك ) وقوامها الخمر والمسك معا والثالثة ( ليل يبتز) وقوامها الليل والجامع بين كل الصور السابقة جو المرح والنشوة والحبور.

وقد يهتم عثمان في تصويره الشهري بعنصر حسي واحد يجعله قاعدة لبناء قصيدة بأكملها ولم نجد في كل شعره حسيا حظي بعناية أكثر من النار حيث تكررت بصيغة المفرد (النار) وصيغة الجمع ( نيران ) ، ما يربو عن 140 مرة، ويتجلى اهتمام شاعرنا بعنصر حسي ما في مظاهر معدودة أبرزها القيام بأسطرته حيث يتحول الصفات والأفعال الأسطورية الخارقة المنسوبة إليه الى مجموعة من الصور العجيبة في آن واحد يقول "عثمان لوصيف" عن النار التي ترمز الى ذاته الشاعرة المتوثبة صاحبة الفضل عليه في الكتابة والتحدي والمقاومة:

نار هي الذوبان والموت الطويل

وهي الرحيل

في المستحيل

نار تشق سهامها زيد الكلام

وأجيجها يستنفر الموتى

ويهدر في العظام<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> - عثمان لوصيف، شق الياصمين، ط1، دار البعث، قسنطينة، 1986م، ص55، 56.

إن النار في هذين المقطعين لم تعد عنصر حسيا عاديا، بل أصبحت أسطورة مصورة لأنها اكتست ثلاث صفات أسطورية هي الذوبان والموت والرحيل، كما اكتسبت ثلاثة أفعال أسطورية أيضا هي: شق الكلام، ثم استنفار الموتى، والهدر في العظام، بواسطة أجيحها.

وهكذا يتبين لنا أن النار، وهي في الأصل عنصر حسي محرق عن طريق أسطورتها رسمت أربع صور أسطورية أوله (النار، ذوبان، وموت، ورحيل) وهي تتسم بالسكون والهدوء، أما الثلاثية المتبقية فهي (النار تشق الكلام)، (أجيج النار يستنفر الموتى)، و (أجيج النار يهدر في العظام)، وهي تتسم - خلافا لسابقتها - بالحيوية والانفعال، ومع كل هذا نجد أن النار أيضا عنوان القصيدة التي أخذنا منها المقطعين والأساس الذي قام عليه بناؤها منذ السطر الأول.

## 6- الأرض :

شاعرنا حين يتأمل الكون لا يعتبر ما فيه من خلق آيات دالة على خالق فحسب، بل يعتبرها معجزات تخضع أعناق المسلمين والكافرين، لأن الآيات لا يدركها الكافر لكن المعجزات أشياء خارقة لا يمكن أن تغيب عن أي بشر يشهدها وهذا من براعة عثمان لوصيف في تبطن اللغة واختيار المفردات للشعر، وتتأكد من كل ذلك في قوله :

وهي الأرض بالمعجزات تضج

هنا ابر تتعاوى

هنا شجر وظلال

ينابيع فوارة وغلل<sup>1</sup>

لا تحسب أن مخرجا سينمائيا سيجد على الأرض أجمل من هذه اللقطات التصويرية الخاطفة، فهي جميلة عند المستقبل العادي، لما تبعثه في نفسه من بهجة وانسراح، وهي أجمل عند الناقد لما تخبئه من مشاعر الاعتراف بالربوبية والألوهية للمولى تبارك وتعالى .

## 7- السماوات:

يعود الشاعر الى تحريك السماوات لكن باتجاه مخالف، حيث يقول :

أنا في الأرض

لكل كل السماوات تهوي على ركبتي

وتسجد<sup>2</sup>

بعد أن عرفت السماوات في الذات الأنثوية صار حجم الشاعر هو الذي يستقطب هذه السماوات التي تتخلص من خصوصية الفضاء الممتد الذي يتجاوز ساحة الإدراك الحسي وتكتسب صفحة جديدة حيث تصغر الى درجة احتلال الفضاء مكاني محدد، وهو الشاعر، وهذه المفارقة مضمون تحققت بالانتقال من ديوان إلى آخر، والطريقة التي اعتمدها الشاعر هي طريقة النفي الكلي إذ جعل السماوات تسجد ليه بعد أن سجدت لغيره.

## - الألفاظ الطبيعية :

لاحظ الكاتب أن عثمان لوصيف كغيره من الشعراء الصوفية، لهم نظرة خاصة إلى الطبيعة وبعملية إحصائية، وجد أن ألفاظ الطبيعة في القصيدة تزيد عن مائة لفظة، نذكر منها الثنائيات المتماثلة في ( الظلام، الضياء)؛ (

<sup>1</sup> - عثمان لوصيف، ديوان قالت الوردية، دط، دار هومة، الجزائر، 2000م، ص38.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص80.

الشمس، القمر)؛ ( السماوات، الأرض )؛ ( الطين، النار ) ، وغيرها كألفاظ الطيور، العنديل، الكناري، النورس، الغراب، والنباتات، الزهور، الزنابق، العساليج.

كما فسر الكاتب هذه الكثافة المعجمية لألفاظ الطبيعة بارتباط الشاعر بالطبيعة ومدى تجلي في هذه الأشياء<sup>1</sup>. إن للشعراء الصوفية - وعثمان لوصيف واحد منهم - نظرة خاصة للطبيعة، فهي عندهم رمز لقدرة الإله الواحد، ودليل عظمته سبحانه وتعالى، لذا نجد في أشعارهم يتخذون من ألفاظ طبيعية رموزاً إيحائية وإشارات للتعبير عن أفكارهم وأحاسيسهم، وعن دعوتهم إلى تطهير الروح والستيرة .

## 2- الألوان :

تختلف صور الألوان وتعدد دلالتها وتزداد أهميتها بتعدد مستويات التعامل معها، وتعدد وظائفها التي قامت بها..". ويكون استخدامها من قبل المؤلف حسب طبيعة نفسيته، فكل لون دلالة معينة<sup>2</sup>.

## 2- معجم الألفاظ الأدبية:

المقصود به الألفاظ المستوحاة من الدين الإسلامي الحنيف، كالقرآن الكريم والسنة النبوية أو التراث الديني.

وقد لاحظ الكاتب أن "عثمان لوصيف" استخدم الكثير من الألفاظ الدينية في قصيدته قالت الوردية، وبعد إحصائها وجدها أزيد من أربعين (40) لفظاً تنقسم بين ألفاظ القرآن وألفاظ التراث الديني.

**ألفاظ القرآن الكريم :** الزفير، الطوفان، العالمين، العجاف، الكوثر، اللغو، المنتهي ... وقد ذكرها الكاتب مستشهداً بأسطر شعرية من القصيدة وما يقابلها من آية من القرآن الكريم .

ومثال ذلك قول الشاعر :

<sup>1</sup> - عثمان مقيش، المرجع السابق، ص70.

<sup>2</sup> - محمد عبد المطلب، قراءات اسلوبية في الشعر الحديث، دط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1995م، ص125.

سمعت لظاها تضح

سمعت الزفير الزفير<sup>1</sup>

ويقابلها في القرآن الكريم، قوله تعالى: (( ..... لهم فيها زفير وشهيق (...))<sup>2</sup>.

كما نبه الكاتب إلى أن هذا التوظيف لم يكن نقلا حرفيا ودليلا من القرآن الكريم، بل الدلالة غير هذا تماما، حيث اقتبس الشاعر هذه الألفاظ وضمنها معاني جديدة .

ألفاظ من التراث الديني : زمزم، الورد، المتبر، الاستغفار .

### 3- السحب:

من الأسماء التي تكررت في القصيدة، اقتصر الكاتب على ذكر أهمها من حيث العدد والمغزى، فمثلا لفظة " السحب " كررت هذه الفظة 18 مرة بصيغ متعددة، موزعة على سائر القصيدة، يقول الشاعر "عثمان لوصيف":

سحب تتوزعني

وخفيها حفيف ارف

أصير الضياء

ويقول أيضا:

<sup>1</sup>-عثمان مقيرش، المرجع السابق، ص82.

<sup>2</sup>- سورة هود، الآية 106.

واسكر إما شعاعا غوى

أو سحاب تشتهي فسح

ها نشيدي تشرب حتى ارتوى

وخيالي على الملكوت انفتح<sup>1</sup>

ورغم تعدد صفات السحاب في القصيدة إلا أنها تحمل دلالة واحدة هي النماء والتجدد فهو رمز التطهر والنفاء لأنه حامل للمطر والمطر ماء .

وهكذا بالنسبة لباقي الألفاظ المكررة، فقد أحصاها الكاتب مبينا نسبة تكرارها والصيغ التي وردت بها، مستشهدا بأسطر. شعرية على كل لفظة، ومبينا دلالتها، وهذه الألفاظ هي : الريح، السماوات ، البحر، البرق، الأرض، العشق، نلنلنن لفظ اسم الإشارة هذا

وكلها تدل دلالة واضحة على أن الشاعر "عثمان لوصيف" متعلق بوطنه الأرض الأم أيما تعلق. فالسمااء رمز العلو، ومنها ينزل المطر المحمول في السحاب الذي تسوقه الريح، كما أن البحر رمز للرهبة والوقار، ويحمل في جوفه الخير العميم.

#### 4- النجوم:

يقول الشاعر "عثمان لوصيف" :

سابع في المدى

يتسابق نحو النجوم

<sup>1</sup> - عثمان لوصيف، قالت الوردية، ص51.

قلائد من لؤلؤ

قوافل من زجل وغناء<sup>1</sup>.

حيث يبعث الدهشة والاستغراب في الملتقى، ومن ثم يثبت المعنى في ذهنه، وليس ثمة أطف وارق من هذا التشبيه، فكان النجوم قوافل يحدوها الحادي بالزجل والغناء ليخفف عنها وعناء السفر<sup>2</sup>.

ويقول الشاعر "عثمان لوصيف" :

وأنا الميت الحي

كنت أصوغ السديم نجوما

وأرسل في العتمات البدور<sup>3</sup>.

أراد الشاعر من خلال هذه الثنائيات المتضادة والمتناقضة إضفاء طابع الأمل والحياة والتفاؤل فبعد الموت تأتي الحياة الخالدة والآخرة الباقية، وبعد العتمات تنير البدور فالنجوم تولد من رحم الليل .

**5- السندباد:** وظفت أسطورة السندباد كثيرا في الشعر العربي، " فهو رمز الاكتشاف والبحث عن عوالم الامتلاء

والخصوبة، فقد ألهمت الشعراء المعادل الموضوعي لاشراقات رؤيوية، رؤيا البعث المنتظر لواقع هش ومتآكل"<sup>4</sup>.

وقد وظف "عثمان لوصيف" هذه الأسطورة لما لها من دلالات توحى برفض الواقع المرير والثورة عليه، والبحث عن انبعاث جديد يبدد مرارة اليأس، ويملاً بالأمل .

يقول الشاعر "عثمان لوصيف" :

1- عثمان مقيرش، المرجع السابق، ص126.

2- عثمان مقيرش، المرجع السابق، ص126.

3- عثمان مقيرش، المرجع السابق، ص126.

4- عبد هيمة، البنيات الاسلوبية في الشعر الجزائري المعاصر، ط1، دار هومة، الجزائر، 1998م، ص89.

سندباد الأعالي أنا

ها المجرات تسح بي

وتقلدني هالة من جلال البهاء<sup>1</sup>.

إن الشاعر في توظيفه هذا الرمز الأسطوري، وما يحمله من دلالات إيحائية أضاف عليه من ذاته وتجربته الخاصة، ربط بين الرمز وتجربته الشعورية.

## 6- الصباح:

يقول الشاعر "عثمان لوصيف":

هلي للصباح الجديد معي

واصحي مثل كل الطيور

التي رففت للإياب

هاهي الشمس تشرق<sup>2</sup>.

إن أطار المركبة هنا هو الصباح المشرق الذي يوحى بالبهجة والحبور، وهو بهذا إحياء يعاكس تمام الإطار السابق (أنقاض الديار) الذي يوحى بالانقباض والحزن، وفي إطار الصباح المشرق نجد ثلاث صور جزئية في غاية النشاط والحركة هي صورة الطيور والمشي وكلها تكرر معنى التحفز ليوم جديد يتوحد فيه العرب، ويتمسكون بدينهم ولغتهم حق التمسك، ليكونوا أمة قائدة تسير بمصيرها في الاتجاه الصحيح وتدخل في الصباح الجديد.

<sup>1</sup> - عثمان مقيرش، المرجع السابق، ص156.

<sup>2</sup> - عثمان لوصيف، قالت الوردية، ص67-68.

**7- العصفير والبحار:**

يقول "عثمان لوصيف":

فتصغي العصفير لي

البحار تقول ارتويت<sup>1</sup>

فان النموذج هذا قام على مفارقتين، أولهما هو تبادل بين الشاعر والعصفير، فبدل أن تغرد ويصغي الناس إليها، أصبح الشاعر هو الذي يغني واسند دور السماع الى الطيور. والمفارقة الثنائية خاصة بالبحار التي لا تروي الظمان ولا تزود بالمياه بقدر ما تمتص ماءها وترتوي به وبهذه الأوجه الجديدة للقول مكن **عثمان لوصيف** قصيدته من بلوغ أعلى درجات الإيحاء.

**8- الفجر:**

قال "عثمان لوصيف":

حين اغني يزقزق الفجر الوردي

من أين يأتي هذا الزخم الفياض

من الرؤى والأغاني؟

اركب حروفي

أضع منها سلماً<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> - عثمان لوصيف، قالت الوردة، ص 30-31.

إن اللافت للانتباه في المقطع ذلك التجازف الفني في المواد المحسوسة الثلاث: الفجر والأغاني، والسلم إذا انتقلت من عالم الواقع الى عالم نفسي، حيث رسمت زقزقة الفجر اثر الشعر في الإنسان، ورسم ارتسالي الأغاني الطبيعية العذبة للشعر، ورسم السلم هدف الشعر وهو الاقتراب من العلي القدير، وهذا الهدف ذاته يطمح إليه أهل التصوف، حيث يكثر في خطابهم مؤال الوجد والسفر إلى الله، ومن تأمل شعر "عثمان لوصيف" يجد فيه تلك النفحات حتى ليحزم انه صوفي في قالب شاعر، وشاعر في قالب صوفي.

## 9 - الماء:

كاشتعال البحور في الأجفان \*\*\*\* التقينا على نزيف الأغاني

وتعانقنا بعد دهر فراقنا \*\*\*\* كعناق البركان للبركان

واعترضنا الغرام شهقة ملح \*\*\*\* وانغمستا في لجة النيران<sup>2</sup>.

إن هذه الأبيات الثلاث، يتعانق مجالان متناقضان للمواد المحسوسة كي يرسمها الثورة في قالب الأنثى المحبوبة إلى نفس الشاعر، وما ذلك في الحقيقة إلا حب جم الثورة والمجالان المتواصلان - هنا - لتشكّل هذه الصورة المركبة هما: مجال الماء ومنه البحور، والملح، ومجال النار ومنه البركان والنيران. وإذا كان التواصل يحدث بين هذين مجالين متناقضين فإن حدوثه بين مجالات غير متناقضة، يصبح أمراً مهضوماً وجد مستساغاً. ولا نحسب أن المؤاخاة بين تلك المجالات داخل الصورة مر ساذج واعتباطي بل هو أمر يحتاج إلى فنان خبير بالوجوه المختلفة للكلمات يعرف بصرفها وكيف يستعملها.

<sup>1</sup> - عثمان لوصيف، كتاب الاشارات، دار هومة، الجزائر، 1999م، ص126.

<sup>2</sup> - عثمان لوصيف، الكتابة بالنار، ط1، دار البعث، قسنطينة، 1982م، ص29.

# الخاتمة

## خاتمة:

بعد الدراسة المتأنية توصلت إلى بعض النتائج أهمها:

- المكان مكون أساسي فلا يمكن تصور فعل أو حدث إلا في إطار مكان.
- يؤدي بنا المكان في الشعر إلى اكتشاف أماكن حقيقية ربما مجهولة عند أبناء الوطن الواحد .
- الفضاء المكاني يتخذ في الشعر أبعاد متنوعة ومتباينة فنجد الحيز محدود و معلوم .
- احتل عنصر المكان مساحة كبيرة داخل فضاء القصيدة.
- جسدت تلك الأماكن المذكورة في شعر عثمان لوصيف تجارية الواقعية الخاصة ومن ثم يمكن اعتبار هذه الأماكن فضاء في سير ذاتي في شعره.
- يحتوي شعر عثمان لوصيف على نماذج شعرية بصورة واضحة .
- مصطلحي الفضاء والمكان من المصطلحات التي شغلت العديد من الدارسين.
- يعد الفضاء أوسع من المكان.
- يساهم المكان في بلورة فكر الشاعر ووعيه .
- يعد الدراسة المكان في الشعر انه يساهم في نتاج المعاني والدلالات يرسخها في ذهن القارئ.
- يعتبر مصطلح الفضاء من المصطلحات التي حظيت باهتمام كبير من الأدباء والعلماء والمفكرين

- الأمكنة تعدد هي الأخرى وتنوعت في شعر عثمان لوصيف بين الأماكن مفتوحة ( المدينة والشوارع....) وأماكن مغلقة ( البيوت والديار....).
- لا يمكن تصور الفضاء خارج السيرورة الزمنية في غياب الحركة التي تجر فيه عكس المكان الذي تمثله خارج الزمن .
- المكان من خلال الأحداث والشخصيات ينتقل من عالم السكون والركوج إلى عالم الحركة والحياة.
- وفي الأخير أتقدم بخالص الشكر والتقدير للأساتذة الدكاترة أعضاء اللجنة المناقشة على تشرفهم بقراءة ومناقشة هذه المذكرة فلکم مني جزيل الشكر والتقدير وأتمنى أن أكون قد أفدت ولو بالکم القليل في مجال اللغة العربية عامة والشعر الجزائري خاصة.

# ملاحق

1- بطاقة تعريف بالشاعر عثمان لوصيف :

الاسم: عثمان

اللقب: لوصيف

تاريخ ومكان الميلاد: 1951/02/05 بمدينة طولقة بسكرة .

الشهادات:

- شهادة الأهلية عام 1970م

- شهادة البكالوريا شعبة علوم الشريعة عام 1974

- شهادة ليسانس في الأدب العربي بجامعة باتنة عام 1984م

الوظائف:

- مدرس لغة العربية للمرحلة الابتدائية 1971- 1975

- أستاذ لغة عربية للمرحلة الإعدادية 1976 - 1979

- استاذ تعليم ثانوي لمادة الأدب العربي 1984 - 2001

- أستاذ مشارك في كلية الأدب العربي والعلوم الاجتماعية بجامعة محمد بوضياف بالمسيلة 2002-

2003

الأعمال الشعرية ( الدواوين ): صدر الشاعر:

- الكتابة بالنار شعر عام 1982.

- شقة الياسمين عام 1986.
- أعراس الملح عام 1988
- الإرهاصات شعر عام 1997
- اللؤلؤة شعر عام 1997
- نمش وهديل شعر عام 1997
- براءة شعر عام 1997.
- أبجديات شعر عام 1997
- غرداية شعر عام 1997
- المتغابي شعر عام 1999.
- قصائد ظمان شعر عام 1999.
- زنجبيل شعر عام 1993
- ولعينك هذه الفيض شعر عام 1999
- قراءة في ديوان الطبيعة شعر عام 1999
- ريشة خضراء رسائل عام 1999
- كتابة الإشارات شعر 1999
- قالت الوردة شعر عام 2002

## 2- شخصية عثمان لوصيف :

يحتل موضوع شخصية أهمية بالغة في كثير من العلوم مثل: علم النفس الاجتماع الانثروبولوجي والوراثة.... الخ وكل علم يقدم مفهومه لها من زاوية تخصصه ولذلك نجد لها تعاريف عديدة ومتنوعة لكن تبقى الشخصية في كل الحالات مزيجا من المكونات المتداخلة وفي هذا البحث نحن بصدد دراسة شخصية الشاعر الجزائري عثمان لوصيف هذا الشاعر المعاصر الأديب المتمرد الذي يرفض الظلم والخنوع والحزن الإنساني يهتم بصحة الإنسان عبر الزمان .

عثمان لوصيف هذه الطاقة التي لا حدود لها خاضت في غمار الشعر المعاصر فأبدعت وأجادت وانفعلت بعمق الواقع وانفتحت على التراث الوطني والقومي والعالمي فأثرت في التجربة الشعرية المعاصرة وأمدتها بطاقات فنية هائلة هذا الشاعر الناسك المتصوف الذي طبق أشعار أطيّار بنشوة تغني في الجزائر بالحب والهوى والإنسان .

أما عن حياة الشاعر عثمان : ولد 1951/02/05 بمدينة وطلقة ولاية بسكرة نشأ وسط عائلة بدوية معوزة ومحيط طولقة فقير تلقى تعليمه الابتدائي وحفظ القرآن الكريم في مساجدها وكتاتيبها خلال العطل الصيفية ثم انتقل إلى مدينة بسكرة ليلتحق بالمعهد الإسلامي الذي قضى فيه أربع سنوات حتى نال الشهادة الأهلية عام 1970م لكن الظروف الاجتماعية العصيبة التي كانت تعيشها أسرته أرغمته على العمل والانقطاع عن الدراسة فانخرط في سلك التعليم لكنه ظل يواصل دراسته الطريقة الحرة نال شهادة البكالوريا في شعبة علوم الشريعة سنة 1974م ثم عاد ليشغل كمدرس في الابتدائي ثم في المتوسط ونظرا لانشغاله بالتعليم بسبب ظروفه لم تسمح له الفرصة بالالتحاق بالجامعة إلا في سنة 1980 بمعهد الأدب العربي بجامعة باتنة وبعد أربع سنوات نال شهادة ليسانس في الأدب العربي ثم رجع إلى طولقة ليشغل منصب أستاذ بالثانوية إلى اليوم.

الشاعر عثمان لوصيف متسع الثقافة إذ انه اطلع على معظم الآداب العربية العالمية كما شغف بالرسم والموسيقى وبدأ نظم الشعر في سن مبكرة وعمره 15 سنة وهو بالمعهد الإسلامي بالشكل العمودي ثم ركز أكثر على القصائد الحرة قرأ للشعراء العرب الكبار بداية شعراء الجاهلية كالشنفرى والأعشى وتأبط شراً..... وشعراء جزائريين كمفدي زكريا ومحمد العيد آل خليفة كما قرأ أيضا لشعراء العصر الحديث البياتي وأدونيس .

هذا الشاعر - عثمان لوصيف - وروحه متعطشة إلى شيء أقل ابتذالا وأقل واقعية شيء أكثر بطولية ونبلا في التعبير عن الحياة ونحن لا نراه - كغيره - واقف في محطات انتظار المعجزات بل نراه يسعى جاهدا أسطوره ومعجزاته ومن خلال شعره نكتشف انه أبى متمرد كما يرينا أن الإنسان ضعيف ضعف منشأه بينما لا حدود تردعه انه يسعى لتجاوز المألوف والعادي ليصل إلى أكثر شيء من نبيل وبطولي لا يعرف ترددا وخوف في صنعه اسمه ومكانته وإنما مجاهد مناضل لنيل مطلبه يخرج كل ما بأعماقه وباطنه الأهم من ذلك يعبر عن ذاته ووجوده .

تلك هي سمات الشاعر عثمان لوصيف التي انطبعت على جميع دواوينه التي تفنن في نقش عناوينها قال الشاعر العراقي الكبير سعدي : شعره يعد ظاهرة جديدة في الأدب الجزائري وسماه الشاعر عزا لدين ميهوبي أمير شعراء الجزائر .

# قائمة المصادر و المراجع

## قائمة المصادر والمراجع :

### • القرآن الكريم

#### أولا - المصادر :

1. عثمان لوصيف : شق الياسمين ط1 دار البعث قسنطينة 1986م
2. عثمان لوصيف : ابجديات دار هومة الجزائر 1997م
3. عثمان لوصيف : الكتابة بالنار ط1 دار البعث قسنطينة 1982م
4. عثمان لوصيف : ديوان قالت الوردة ط دار هومة الجزائر 2000م
5. عثمان لوصيف : زنجبيل دار هومة الجزائر 1999م
6. عثمان لوصيف : قراءة في ديوان الطبيعة دار هومة الجزائر 1999م
7. عثمان لوصيف : كتاب الاشارات دار هومة الجزائر 1999م
8. عثمان لوصيف : ديوان ولعينيك هذا الفيض دار هومة الجزائر 1999م

#### ثانيا- المراجع باللغة العربية :

8. اجوزيف كيسنر شعرية الفضاء الروائي ترجمة لحسن حمامة المغرب افريقية الشرق 2001م
9. احمد مرشد البنية والدلالة في روايات البراهيم نصر الله المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت لبنان ط1 2005م
10. ادريس بوديبة الرؤية والبنية في روايات الطاهر وطار منشورات جامعة منتوري ط1 قسنطينة 2000م
11. اوريدة عبودة المكان في القصة القصيرة الجزائرية الثورية دراسة بنيوية لنفوس تأثرة دار الامل للطباعة والتوزيع الجزائر (دط) 2009م
12. بدر شاكر السياب ديوان بدر شاكر السياب مج1 دار العودة بيروت 1971م
13. جورج بيريك فضائل الفضاءات ترجمة عبد الكريم الشرقاوي دار توبقال للنشر الدار البيضاء، ط1 المغرب 2000م

- 
14. الجابري محمد عابد بنية العقل العربي دراسة تحليلية نقدية للنظم المعروفة في الثقافة العربية  
المركز الثقافي العربي ط1 الدار البيضاء 1986م
15. جوزيف كيسنر شعرية الفضاء الروائي ص28 نقلا عن بارث وولان الدرجة صفر تعبيرية .
16. حسن بحرواي بنية الشكل الروائي الفضاء الزمن الشخصية المركز الثقافي العربي ط1 الدار  
البيضاء 1990م
17. حسن نجمي شعرية الفضاء المتخيل والهوية في الرواية العربية المركز الثقافي العربي بيروت  
الدار البيضاء 2000م
18. حميد لحداني فضاء الحكيم بين النظرية والتطبيق مجلة دراسات ادبية ولسانية العدد3 السنة  
ربيع 1986م
19. حميد لحداني بين النص السردي من منظور النقد الادبي المركز الثقافي العربي ط3 الدار  
البيضاء 2003م
19. سعيد يقطين قال الراوي - البنيات الحكائية في السيرة الشعبية المركز الثقافي العربي ط1  
1997م
20. سمير روجي الفيصل الرواية العربية البناء والرؤيا مقاربات نقدية من منشورات اتحاد الكتاب  
العرب دط دمشق 2003م
21. سمير فوزي حاج مرايا ابراهيم جبرا والفن الروائي المؤسسة العربية للدراسات والنشر والتوزيع  
2005م
22. سيزا قاسم بناء الرواية دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ الهيئة المصرية العامة للكتاب  
القاهرة 1988م
23. الشريف حبيبة بنية الخطاب الروائي ( دراسات في روايات نجيب الكيلاني ) عالم الكتب  
الحديث الأردن ط1 2010م
24. عبد الحميد هيمة البنيات الأسلوبية في الشعر الجزائري المعاصر ط1 دار هومة الجزائر  
1998م
25. عبد الرحيم مرادة الفضاء الروائي الرواية في الأردن نموذجا وزارة الثقافة عمان 2002م

- 
26. عبد الصمد زايد المكان في الرواية العربية الصورة والدلالة كلية الآداب منوية دار محمد علي للنشر ط1 الجمهورية التونسية 2003م
27. عبد المالك مرتاض في نظرية الرواية بحث في تقنيات السرد المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويت 1998م
28. عبد المالك مرتاض السبع المعلقات مقارنة سيميائية / أنثروبولوجية لنصوصها منشورات اتحاد الكتاب العرب 1998م
29. عبد المالك مرتاض تحليل الخطاب السردي معالجة تفكيكية سيميائية لرواية زقاق المدق ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1998م
30. عثمان مقيرش الخطاب الشعري في ديوان قالت الوردة ط1 المؤسسة الصحفية بالمسيلة للنشر والتوزيع والاتصال الجزائر 2011م
31. عمر عاشور البنية السردية عند الطيب صالح دار هومة دط الجزائر 2010م
32. غاستون باشلار جماليات المكان ترجمة غالب هلسا المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ط3 1987م
33. فهد حسن المكان في الرواية البحرينية دراسة نقدية فراديس للنشر والتوزيع ط1 البحرين 2003م
34. ميشال بوتور بحوث في الرواية الجديدة ترجمة فريد انطونيوس ط1 منشورات عويدات بيروت 1971م
35. محمد الزموري شعرية الفضاء في القصة القصيرة (دط) (دت)
36. محمد بنيس الشعر العربي الحديث بنياته وابدالها الجزء 3 ط3 دار توبقال الدار البيضاء 2001م
37. محمد صابر عبيد وسوس البياني جماليات التشكيل الروائي دار الحوار (دط) سوريا (دت)
38. محمد عبد المطلب قراءات أسلوبية في الشعر الحديث دط الهيئة المصرية العامة للكتاب 1995م

---

39. نعيم اليافي الشعر بين الفنون الجميلة دار الجليل دمشق 1983م ص17 ملخص عن مقالة لاوكون ل غوتهولد افريم لسنغ طبعته 1959م

40. ياسين النصير الرواية والمكان دار الحرية للطباعة دار الحرية بغداد العراق (دط) 1980م

### ثالثا: المراجع باللغة الاجنبية:

41. G. Genette figures II seuil 1976

42. H. Metterand le discours du roman PUF 1980

43. J. Kristiva les texte du roman Approche sematique du structure discursive transformationnelle mouton 1976

44. Jean Weisgeber l'espace romanesque éd l'age d'homme 1978

45. Roland Bourneuf et Real Quellet l'univers de roman P.U.F 1981

### رابعا : المعاجم والقواميس باللغة العربية :

46. ابن منظور لسان العرب دار صادر المجلد2 بيروت 2000م

47. ابن منظور لسان العرب دار صادر بيروت ج1 ط1 (دت)

48. رشيد بن مالك قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص عربي- انجليزي - فرنسي الطبعة الأولى دار الحكمة الجزائر 2000م

49. علي بن حسن الهنائي الازوري المنجد في اللغة دار المشرق بيروت لبنان ط2 1986م

50. مجمع اللغة العربية المعجم الوجيز وزارة التربية والتعليم لمصرية القاهرة مصر (دط) 1994م

---

خامسا : المعاجم والقواميس باللغة الأجنبية:

51. Dictionnaire Machette encyclopédique Atlas mondiale 1994

## فهرس المحتويات

الصفحة	الموضوع
-	شكر وتقدير.....
أ - ج	مقدمة.....
05	مدخل.....

### الفصل الأول:

10	أولاً- مفهوم الفضاء.....
10	أ - لغة.....
10	ب - اصطلاحاً.....
15	ثانياً - أنماط الفضاء.....
15	أ - الفضاء النصي.....
16	ب - الفضاء الدلالي.....
17	ج - الفضاء كمنظور أو رؤية.....
18	د - الفضاء كعامل.....
19	ثالثاً - علاقات الفضاء.....
19	أ - الفضاء والشخصيات.....
22	ب - الفضاء و الزمان.....
24	ج - الفضاء والأحداث.....

### الفصل الثاني: الفضاء المكاني في شعر "عثمان لوصيف" دراسة تطبيقية

30	أولاً - بنية المكان.....
30	أ - لغة.....
31	ب - اصطلاحاً.....
32	ثانياً - دراسة الفضاء المكاني في شعر "عثمان لوصيف" دراسة تطبيقية.....
32	أ - الأماكن المغلقة.....
36	ب - الأماكن المفتوحة.....

---

52	.....خاتمة
55	.....ملاحق
60	.....قائمة المصادر والمراجع
65	.....فهرس المحتويات
-	.....ملخص المذكرة

---

## ملخص المذكرة:

يعالج هذا الموضوع الفضاء المكاني في شعر "عثمان لوصيف"، وبما أن الفضاء له علاقة بالزمان، فإن الزمان عنصر مهم من عناصر النص السردي لأنه الرابط الحقيقي للأحداث والأمكنة، ويكتسب قيمة جمالية عندما يدخل حيز التطبيق، ولا يمكن أن يقوم هذا الزمان إلا بوجود المكان الذي هو بمثابة الوعاء وخزان للأفكار والمشاعر، ويتفرغ لأماكن مفتوحة (البحر، المدينة، الشوارع) وأماكن مغلقة (البيت، الديار، البيت الحرام)، فالأماكن المفتوحة اتخذت كفضاء للحرية والاطلاع، أما الأماكن المغلقة فاتخذت كأماكن للعزلة والغربة والضيق.

**الكلمات المفتاحية:** الفضاء، المكان، الشاعر عثمان لوصيف.

### Résumé du thèse:

Ce sujet traite de l'espace spatial dans la poésie de « **Othman, LOUCIF** », et depuis l'espace n'a rien à temps, le temps est un élément important des éléments narratifs du texte parce qu'il est le lien réel des événements et des lieux, et acquiert une valeur esthétique lors de son entrée dans l'application, et ne peut être fondée cette fois seulement l'existence du lieu qui est un récipient et le réservoir d'idées et de sentiments, et se consacrer à des lieux ouverts (mer, ville, rues) et des lieux fermés (maison, la Maison sacrée), des lieux ouverts sont pris comme un espace de liberté et d'accès, et à l'intérieur ont pris des lieux d'isolement et de l'aliénation et de la détresse.

**Mots-clés:** espace, lieu, poète « **Othman, LOUCIF** ».